الخبير في الجماعات الإسلامية أنطوان بسبوس لـ "الخبر"

الزرقاوي قائد ظلامي.. لكنه فعال

● الطريق إلى السعودية يمر عبر بغداد

علينا أن ننتقبل الآخر، هذا ما يريد قوله الخبير والمتخصص في الجماعات الإسلامية ومدير المرصد العربي في باريس أنطوان بسبوس في حواره مع "الخبر" الذي يطرح فيه وجهة نظره الخاصة حول أمريكا والعراق والزرقاوي والفكر الوهابي، ومهما كانت رؤيتنا لأفكاره التي لاقت رواجا كبيرا في الغرب، علينا أن نستمع إليها، فهي الطريق للوصول إلى الآخر.

حوار: محمد اسماعيل

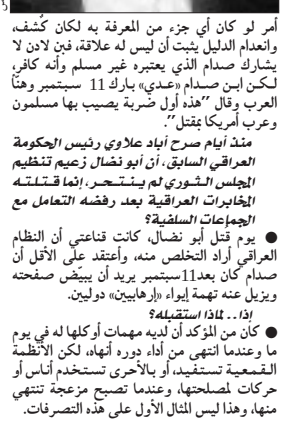
أنطوان بسبوس

هناك حديث عن القاعدة في العراق، في رأيكم متى بدأت القاعدة تنشط فيه؟

● الوجود الأساسي لتنظيم القاعدة ربما يعود لسنة 1999, حيث تبين أخيرا أن نظّم موثّر وحضره الظواهري، وبقي هذا طي الكتمان، وأنا لدي شهادة من اسلاميين سعوديين يقولون أن الزرقاوي وصل إلى العراق عام2001 عندما تبيّن لصدام أن المعركة مع أمريكا آتية، وأنه بحاجة إلى رص الصفوف والتقرب من بن لادن والإسلاميين، واستعدادا لجبهة ما بعد المعركة مع أمريكا، وهذه الشهادة أنا اعتمد عليها لأن الشخص الذي أعطاني إياها أعرفه منذ12عام، وهو غير مغرض في قوله هذا.

ويبدو أن الملك حسين (حاكم الأردن الراحل) طلب من صدام تسليمه على ما يقول ابنه الملك عبد الله، الزرقاوي ولم يفعل، وربما الملك عبد الله الثاني طلب تسليمه من صدام ولم يفعل، بمعنى أن الزرقاوي كان موجود في العراق تحت ظل صدام حسين، وربما صدام يستطيع القول كان موجود في إقليم كردستان على الحدود الإيرانية، وهي كانت منطقة خارجة عن سيطرة صدام ومحايدة لإيران ولم يكن الذهاب إلى هناك ممكنا، فالقاعدة في العراق تمتد جذورها على الأقل إلى سنة2001.

كما نذكر عشية الحرب في مارس2003، كان هناك معسكر لأنصار الإسلام على الحدود الإيرانية، وربما كان هناك القاعدة الأولى للقاعدة في العراق ما قبل الاجتياح الأمريكي، لكن الأمور تطورت بعد ذلك، وأصبح سقوط بغداد للقاعدة مهمة، وأصبح عندها أرض للمعركة وأصبح عندها انطلاقا من نظرية أرض الإسلام وأرض الكفار، ووجود جيش مسيحي محتل، وأصبح عندها نظرية معروفة عند الوهابيين واعتمدها بن لادن، وعلى أساس ذلك تم استجلاب المتطوعين الجهاديين التكفيريين لقتال الأمريكيين. لكن هنا اختلفت الأمور، فإذا بهم يتحولون من مقاتلة الأمريكيين إلى مقاتلة الشيعة، وكل من شايع الأمريكيين حتى ولو كانوا سنّة، ولكن المعركة الأساسية اليوم أصبحت المعركة ضد الشيعة لأن الأمريكيين انسحبوا جزئيا من التعاطي والاختلاط مع الشعب وتركوا المجال للأمن العراقي الذي دربّوه، وبما أن السنّة قاطعوا الانتخابات فهي مؤسسات الدولة الجديدة، فإذا بالأمن يكون تحت أكثرية شيعية. فينطرالزرقاوي والوهابيين وبن لادن والزرقاوي كل ما يتعلق بالدولة العراقية هو ذنب لأمريكا. وفي الفكر الوهابي والبن لادني، يتم اعتبار الشيعة كـ"هراطقة" ويجب إما قتلهم، أو اعتقال الدين السليم وهو المذهب السني. فهكذ الزرقاوي وبن لادن وفكر القاعدة والوهابية يميل إلى اعتبار الشيعة أكثر فسقا وعداء لهم من اليهود والنصارى.

اليوم المعركة واسعة وما نشهده في العراق رهيب، بمعنى أن الهجوم على مساجد الشيعة أكثر بكثير من الهجوم على القواعد الأمريكية، والخسائر التي يمنّى بها الجرس الوطني والجيش العراقيين أكبر بكثير من الخسائر التي يمنّى بها الأمريكيون، والمعركة الأساسية اليوم برأي معركة مثلث الموت جنوب بغداد، هناك توجد نقطة الاتصال بين الجنوب الشيعي وبغداد بقسمها الشيعي، المعركة القائمة هي معركة تطهير عرقي إلى حد ما يجريه أنصار الزرقاوي لطرد الشيعة من هذا المثلث لقطع الطريق بين الجنوب الشيعي والأحياء الشيعية في بغداد.

تحدثت أن الزرقاوي يريد أن يعزل بغداد عن الجنوب.. لماذا؟

● أولا يتصور بغداد وكأنها عاصمة الخلافة العباسية وكأن الشيعة فيها طارئين، ويجب على هذه المدينة أن تبقى "طاهرة" وأن يخرجهم منها رغم أن نصف سكان بغداد من الشيعة، وإن كانوا لا يسكنون الشوارع الجميلة والمعبدة، بل يسكنون في الأحياء القصديرية، وهو لا يريد الالتحام بين الأكثرية الشيعية في الجنوب وبغداد، يخشى مستقبلا أن تكون بغداد شيعية بأكثريتها، فهذا ربما من منطلق طائفي عنصري إلى حد ما، منطلق تطهير عرقي رغم أنهم كلهم عرب.

هناك برأيك اتصال بين صدام حسين وجماعة القاعدة؟

● انطلاقا من عام 2000 ونهاية 2001 صار هناك اتصال، لكن أنا قناعتي حتى يثبت العكس أن صدام لا علاقة له ولا معرفة بما جرى في11سبتمبر، هذا أمر لو كان أي جزء من المعرفة به لكان كُشف، واتعدام الدليل يثبت أن ليس له علاقة، فبن لادن لا يشارك صدام الذي يعتبره غير مسلم وأنه كافر، لكن ابن صدام «عدي» بارك 11 سبتمبر وهنّأ العرب وقال "هذه أول ضربة يصيب بها مسلمون وعرب أمريكا بمقتل".

منذ أيام صرح أياد علاوي رئيس الحكومة العراقي السابق، أن أبو نضال زعيم تنظيم المجلس الثوري لم ينتحر، إنما قتلته المخابرات العراقية بعد رفضه التعامل مع الجماعات السلفية؟

● يوم قتل أبو نضال، كانت قناعتي أن النظام العراقي أراد التخلص منه، وأعتقد على الأقل أن صدام كان بعد11سبتمبر يريد أن يبيّض صفحته ويزيل عنه تهمة إيواء «إرهابيين» دوليين.

إذا.. لماذا استقبله؟

● كان من المؤكد أن لديه مهمات أوكلها له في يوم ما وعندما انتهى من أداء دوره أنهاه، لكن الأنظمة القمعية تستفيد، أو بالأحرى تستخدم أناس أو حركات لمصلحتها، وعندما تصبح مزعجة تنتهي منها، وهذا ليس المثال الأول على هذه التصرفات.

إذن الزرقاوي ليس شخصية وهمية؟

● أنا أعتقد أن الزرقاوي شخص نادرا ما وُجد من أمثاله في القاعدة، فهو يدير المعركة الوحيدة اليوم بين القاعدة وأمريكا، وبقي بن لادن يتلطى في جبال أفغانستان، والظواهري مختف كذلك، وعدد كبير من كوادر الدرجة الثانية في القاعدة ألقي القبض عليها أو قتل، فالزرقاوي ليس رجل وهمي، بل هو رجل فاعل، لديه كاريزما، وزعامة وتخطيط، ولديه قدرة على استقطاب عدد كبير من التكفيريين والجهاديين، يذهبون إلى العراق خاصة للانضمام إلى الزرقاوي، وعدد الانتحاريين في صفوفه شيء رهيب، فلو كان هذا الرجل غير موجود أو كان ضعيفا فلا يستطيع أن يُجند ويؤثر بوجوه هذه الضربات التي نراها كل يوم، ونستفيق على عدد من الهجمات، وبينها هجمات انتحارية رهيبة، فالزرقاوي قائد ظلامي ولكنه فعال.

كم عدد أفراد الفاعلين في تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين؟

● لا أدري.. يُقال 2000 شخص، ليس لدي أي دليل على ذلك، لكن فاعليتهم كبيرة جدا.. لأنهم انتحاريون، ويعتمدون على العنيين وعلى العسكر القديم لصدام من جانب المعلومات ومن جانب الاستطلاع والاستخبار ومن جانب الأهداف التي يجب ضربها، لأن الأجانب عن العراق لا يستطيعون الإطلاع عليها بشكل دقيق وكثيف ويومي، فمن هذه الزاوية التقارب بين القاعدة والبعثيين السابقين والسلفيين العراقيين وضباط الجيش السابقين ضاعف فاعلية الزرقاوي وتنظيمه، أضف إلى ذلك لديهم كميات من المتفجرات لا يُستهان بها تركها نظام صدام السابق، وتركها الأمريكيون لمن يعبث بها، أضف إلى ذلك كميات كبيرة من المال وهي موضوعة إما داخل العراق أو في المصارف السورية، فهذا الحلف بين البعث والجيش من جهة وتكفيري ومجاهدي الخارج بزعامة الزرقاوي من جهة أخرى يعطي مفاعيل قوية جدا.

برأيك ما هي جنسية الفاعلين في القاعدة؟

● والله من مختلف الجنسيات، منهم من أتى من السعودية، الكويت، السودان، سوريا، فلسطين، مصر، وحتى من أوروبا، فهناك عدد من المقاتلين الذين قُتلوا في الفلوجة بينهم بعض الفرنسيين، وهناك من اعتقل في العراق وجرى تسليمه إلى الفرنسيين، وهناك من أُبلغ عن وجوده في صفوف المقاتلين إلى السلطات الفرنسية، وأعتقد أن سوريا سلمت أحدهم قبل أيام.

برأيك لماذا تأخر أبو مصعب الزرقاوي في بيعته لأسامة بن لادن؟

● أعتقد أن أسامة بن لادن كان محرجا في وقت من الأوقات من الزرقاوي، وهذا الأخير فاعل وكاد أن يتجاوز بكفاءته ونشاطه صورة بن لادن، فإذا بهذا الأخير يتبنّاه، وإذا بالزرقاوي يعلن بيعته، فهناك مصلحة مشتركة.

بن لادن يقول عبر الزرقاوي أنه موجود في العراق، والزرقاوي عبر بن لادن يجذب الكثير من الجهاديين والتكفيريين، لأن صورة بن لادن في العالم الإسلاموي أكبر من صورة الزرقاوي، ولكن نجم الزرقاوي في صعود، فلذلك كانت مصلحة الفريقين التحالف والانضواء، مع العلم أن الزرقاوي كان في أفغانستان ووصل في نهاية المعركة ولكنه تدرّب في معسكرات بن لادن ويعرفه شخصيا، واسم بن لادن في هذه الصفوف اسم براق أكثر من الزرقاوي في نهاية العام 2004.

الآن هناك جيل ثاني من القاعدة دون العودة لاستشارة الأمير؟

● أولا الاتصالات مع الأمير الأول لم تعد سهلة، فدروب أفغانستان شاقة، ومراقبة من كل الدول المجاورة ومراقبة من الجو، وهناك رقابة على الاتصالات.

ثانيا بن لادن يبتعد عن كل ما هو يعطي أي إشارة إن كان راديو للاستماع أو أي شيء، وهو لا يعتمد إلا على المراسلين، فالتعليمات لم تعد تصل بسهولة، فلذلك هناك الفكر يغذي الناشطين، وبناء عليه يتحركون من دون تفاصيل أو تعليمات من دون هرمية، ما جرى في مصر أخيرا في شهرأفريل هو دليل على أن هذه الحركية لا تنتظر تعليمات الذين عندهم الفكر، يشاطرون بن لادن فكره، يبحثون عن إمكانيات وهي بسيطة، خاصة عندما يكون هناك رغبة في قتل الذات الانتحار(..) ويبحثون عن طريقة لتركيب القنابل وما هنالك، تسهل الأمور..اليوم صار هناك ظاهرة من يركبون موجة بن لادن دون استشارته، يناصرونه دون تلقي معلومات أو أوامر لأنهم يشاطرونه العقيدة ويتصرفون على هذا الأساس وهو خطر الغد.

هل تتوقع أن يوسع الزرقاوي نشاطه إلى الدول المجاورة، خاصة الخليجية؟

● يُروى أن له علاقات أوسع من المنطقة الموجود فيها تمتد حتى أوروبا، فعدد من خريجي معسكراته وزملائه كانوا على علاقة بتفجيرات مدريد، وقيل أنهم على علاقة بانفجارات الدار البيضاء، وكان بعضهم موجود في إيطاليا، ليس عندي الكلام الفاصل في هذا الموضوع، ولكنه يعتبر الرجل الذي يشع أكثر من أي طرف آخر، اليوم بن لادن يعطي الأولوية للعراق دون أن يهمل السعودية، وكل أسبوع هناك مناوشات بين القاعدة والسلطة هناك، لكن شاهدنا في الفترة الأخيرة حركات إرهابية في الكويت وقطر، كل هذه الدول حدودها افتراضية، الناس تستطيع التنقل، والفكر الوهابي منتشر في هذه المنطقة، وما شاهدنا في قطر هو ما حصل في مصر، هذا الشخص الذي فجّر نفسه بالمسرح لم يكن أي شيء يدل على انتمائه.

برأيك ما هو مستقبل القاعدة؟

● على المدى القصير هي بخير، على المدى المتوسط لا أدري، القاعدة عندها جذور فكرية عميقة في عدد من البلاد الإسلامية، الفكر الوهابي الذي أنتج القاعدة هو دين الدولة في السعودية وعندما ما يكفي من الأموال، فمعركتها في العراق تكلفها شهريا 800 ألف دولار في الشهر، في حين تكاليف الجيش الأمريكي هي 5 مليارات من الدولارات. وقد شبهت القاعدة في العراق سابقا بالجبا في الجزائر، وإذا لم تستطع حكومة بغداد أن تخلق الفصل بين المجتمع السني وبين الزرقاوي، فستتحول الحرب في العراق إلى حرب أهلية بين الشيعة والسنة، ولن تستطيع الدولة أن تثبّت أقدامها، على الحكم العراقي أن يجذب العدد الأكبر إليه من الطائفة السنية، والذين لا ينتمون إلى الفكر الوهابي يريدون بناء دولة مشتركة، فلا يقضى على الزرقاوي إلا بهذه الطريقة، أي بجعله سمكة خارج المياه، إلى أن يصل الطلاق بينه وبين المجتمع الذي يعيش فيه لدرجة أن يصبح أقلية فينسحب أو ينكسر. هذه المعركة الأولى في يومنا هذا وهي موجودة في العراق.

لو مات الزرقاوي هل ستنتهي القاعدة؟

● لا.. لو مات الزرقاوي العقيدة موجودة، لكن المشرفين عليها ليس بالضرورة أن يكونوا زرقاويين، ليسوا بالضرورة بكفاءته أو بإقدامه أو بطريقته، مع العلم أن هذه الطريقة إجرامية لدرجة أنها تقتل الكثير من الأبرياء من الأهداف المشروعة، فالزرقاوي عندما نشر خبر إصابته هلّل الكثير من العراقيين، لأنه يقتل المجتمع الذي لا يمشي معه.

لكن الزرقاوي على علاقة طيبة مع الإيرانيين؟

● هنا نعود إلى حبائل الاستخبارات، إن الإيرانيين يضحون بشيعة عراقيين لضرب الأمريكيين عبر القاعدة، وهو تنظيم سني وهذه من حبائل الاستخبارات.

يعني الزرقاوي يخدم أطراف أمنية؟

● يخدم فكر القاعدة ويستفيد من لقاءات تكتيكية مع أعداء أمريكا ولكنهم يستفيدون منه أكثر، فالإيرانيين يريدون إشغال الأمريكيين في العراق حتى لا ينبروا لسؤالهم عن برنامجهم النووي، هذه ألعاب وسياسات يدفع ثمنها المواطن العراقي.

برأيك المعركة في العراق ستطول؟

● لا أستطيع أن أقول لك كيف ستنتهي، ولكنها لن تنتهي في وقت قريب، حتى الآن الأمريكان قتلوا أو قبضوا على عدد من مساعدي الزرقاوي واستولوا على كمبيوتره الشخصي، فربما كل هذا سيفضي للقبض عليه حيا أو ميتا، وربما سيستطيعون أن يفككوا جهاز، ولكن أحيانا التاريخ يتوقف على لحظة إصابة شخصية لشخص يكون لها مفعول، وإصابة خطيرة لذات الشخص تقضي عليه يكون لها مفعول آخر. لا أريد أن أضرب بالغيب، لكن مفتاح الحل في العراق هو مقدار مشاركة السنة في الحكومة المركزية وجذبهم إليها، فهم منذ 14قرنا كانوا في السلطة وإذا بهم اليوم يجدون خارج السلطة، فهم لا يقبلون هذا التهميش، هناك عنصر آخر وهو في غضون كم من الوقت تستطيع الحكومة العراقية أن تبني جيشا، وهذا الجيش يقول للأمريكان نحن لم نعد بحاجة إليكم، نحن نستطيع أن ندير شؤوننا بأنفسنا، حتى الآن النجاح لم يكن حليف بناء هذا الجيش، وعليه الكثير من الجهود بعد الآن.

برأيك هل ستخرج أمريكا من العراق؟

● طبعا ستخرج.. أنا أعتقد أن الأمريكيين ليسوا احتلاليين للعراق، فردهم الأول على ضربة 11 سبتمبر كان أفغانستان، والرد الثاني كان داخل المنطقة العربية، والعراق الخطوة الأولى لإخضاع السعودية، فالخطر في الفكر والمال والرجال، والذين ضربوا أمريكا هم سعوديين، لم يكن من السهل على الأمريكيين مهاجمة السعودية وهي أول مصدر للبترول، لكنهم أرادوا مهاجمة عقيدتها الوهابية، فحاولوا الالتفاف لضرب صدام لأنه هو الرجل العاصي على الأمم المتحدة وهو الذي لم يطبق 16 قرارا دوليا، وديكتاتور وله حروب ضد دول الجوار، فملفه كان سهل، فكانت رغبتهم يريدون وضع إمكانيات العراق البترولية الهائلة بالتصرف الدولي، وبعدها ينظرون إلى السعودية دون الخوف من حدوث بلبلة في الأسواق، فهذا الأمر لم ينجح، فرغبتهم في العراق سياسية، وقول للعرب11 انتحاري ضربوني، أنا أستطيع أن أرد في قلب العالم العربي. ومن الناحية الاقتصادية كانوا يريدون تثمير البترول العراقي ووضعه في الأسواق، حتى يستطيعوا التطلع إلى السعودية، ويقولون لها أنه يجب عليك إعادة النظر في الفكر الوهابي، في توزيع أموال على الإسلاميين وفي تصدير الثورة، باعتقادي، الأمريكيين لن يبقوا في العراق ماديا، ربما العراقيون يطلبون منهم أن يكون بهم وجود في قاعدة لسبب أو لآخر، فليست رغبة الأمريكيين أن يبقوا في العراق محتلين، رغبتهم أن يخرجوا من التلاقي مع الشعب العراقي ويسلموا هذه المهمة إلى الجيش العراقي.